الجزء الثانى

التفسيرات

الفصل الثالث:

السياسة الإيفانجليكية تراث أمريكى

الفصل الرابع:

سياسات الأصوليين فى المنظور التاريخى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

السياسة الإيقانجليكية

تراث أمريكى

obeikandl.com

obeikandl.com

يبدو أن الكثيرين من المراقبين يفترضون أن دخول الأصوليين والإيڤانجليكيين فى معترك السياسة يعنى خروجًا عن الأسلوب الأمريكى. مع ذلك، وفى الحقيقة سواء كان ذلك للأفضل أم للأسوأ، فدائمًا ما كان الخلط بين الدين والسياسة يمثل جزءًا من الميراث السياسى الأمريكى.

بناءً على ذلك، فربما يمكن الحصول على فهم أفضل للمغامرات السياسية الحالية الأصولية والإيڤانجليكية إذا نظرنا إليها بوصفها إحياء لأحد التقاليد السياسية الرئيسية للأمة.

كان المفترض أثناء المرحلة الاستعمارية الأمريكية [من قبل البريطانيين] أن يسير الدين والسياسة جنبًا إلى جنب. فقد كان للأمم الغربية كنائس رسمية، وغالبًا ما كان الدين جزءًا مكملاً لهوية المرء القومية، وكان الموضوع السياسى المحورى على مدى المرحلة الاستعمارية هو الحرب الباردة بين البروتستانت والكاثوليك. كانت المستعمرات البريطانية ركائز بروتستانتية داخل مجال من السيطرة الكاثوليكية. وقد سيطر التنافس العميق بين البروتستانت والكاثوليك على الفكر الأمريكى بأسلوب لا يختلف عن أسلوب الحرب الباردة بين الدول الماركسية، والدول غير الماركسية، واللتين حكمتا سياسات العالم لعقود عقب الحرب العالمية الثانية.

لم يكن العداء للكاثوليكية مجرد قضية سياسة خارجية رئيسية، بل أيضًا كان التنافس بين الإيڤانجليكيين والكلڤينيين موضوعًا يحظى بالأولوية فى الصراعات الاستعمارية.

كان ورثة البيوريتانز فى نيو إنجلاند، وكذلك المشيخيون الأسكوتلانديون والأيرلنديون فى مستعمرات الوسط وفى مستوطنات الأراضى الداخلية والجنوبية

من المقاتلين بشكل خاص فى معارضتهم المريرة لاحتمال فرض الأنجليكية[1]؛ لتكون الكنيسة الدينية الرسمية المدعومة من الدولة فى جميع أرجاء المستعمرات، ومن وجهة نظرهم البيوريتانية، فليست الأنجليكية إلا مجرد خطوة واحدة من الكاثوليكية والاستبداد، وللمعمدانيين ميراث طويل من وجهات النظر المماثلة.

أقام المخالفون الإنجليز فى القرن الثامن عشر (غير الأنجليكيين) تراثًا سياسيًا رئيسيًا دار حول انتقادهم لمزايا النفوذ الملكى والإكليريكى.

رضعت هذه الرؤية «الثورية الحقيقية ـ Real Whig»[2] من إرث المعارضة البيوريتانية المبكرة للتاج الأنجليكى، وشكلت مبادئ الحرية والعدل التى أصبحت مألوفة بين الثوريين الأمريكيين. عبرت هذه المبادئ الخاصة بالويج الحقيقيين عن نفسها بوضوح فى تصنيفات الاستنارة فى تلك الأيام، حيث إنها تتأسس على حقائق أخلاقية ذاتية البرهان. وكان المتنورون الأمريكيون من أمثال «توماس چيفرسون» - وهو الذى قد يكون أنجليكيًا بالولادة - قد تبنوا بالفعل هذه المبادئ وما تحمله من معارضة لإعطاء امتياز لكنيسة معينة من قبل المؤسسة السياسية (الكنيسة الرسمية، أو الكنيسة المؤسسة ـ Established Church).

صيغ تعريف الأمة الجديدة بعبارات علمانية فى دستور عام ١٧٨٧. يعود ذلك فى جزء منه إلى المشاعر المعادية للكنيسة الرسمية التى كان يحملها بعض المؤسسين، لكنها عكست بنفس القدر الاعتبار الكبير الذى للدين فى الحياة الأمريكية. حيث اقترح «چون إف. ويلسون» بأن التخلف عن ذكر الدين بوضوح داخل الدستور لا يرجع إلى عدم أهمية الدين، بل يعود إلى أهميته القصوى. ولو اتخذ الدستور موقفًا تجاه القضايا الدينية المثيرة للانقسام فى تلك الأيام لتضاءلت فرص التصديق عليه[3].

---

(١) المقصود كنيسة انجلترا ومذهبها، وذلك ما هاجر فرارًا منه البيوريتانز.

(٢) أطلق الكاثوليك الموالون للملك الإنجليزى الكاثوليكى چيمس الثانى لقب «Whig» على البروتستانت المعارضين للملك وللكاثوليكية. وهناك اعتقاد بأن الكلمة هى الحروف الأولى لـ: «نحن نأمل فى الله ـ We hope in God»، وقد كون الويج حزبًا مستقلاً فى انجلترا، حتى بداية القرن التاسع عشر عندما تأسس الحزب الليبرالى، فانضموا إلى حزب المحافظين. وفى أمريكا كان الويج ثوريين، وانضم أكثرهم إلى الحزب الجمهورى على يد إبراهام لنكولن فى منتصف القرن التاسع عشر ـ قاموس Prewers Politics صفحة (٦٦٧ ـ ٦٦٨) ـ المترجم.

(٣) ذكرت هذه النقطة فى عمل «چون إف. ويلسون» «الدين والحكومة والسلطة فى الأمة الأمريكية الجديدة» وفى مارك إيه. نول ـ محرر: «الدين والسياسة الأمريكية - من المرحلة الاستعمارية إلى ثمانينيات القرن العشرين» (نيويورك، مطابع جامعة أكسفورد ١٩٩٠) ص ٧٧ - ٩١.

عبر التعديل الأول بوضوح عن سياسة رفع الأيدى عن الدين. لقد ضمن عدم وجود كنيسة رسمية فيدرالية، وضمن كذلك عدم تدخل الحكومة الفيدرالية فى حرية الممارسة الدينية. كانت نية المؤسسين واضحة بخصوص عدم تدخل الحكومة الفيدرالية حتى مع الكنائس الرسمية للولايات، حتى إن هذه الكنائس الرسمية استمرت فى الواقع فى نيوإنجلاند لعقود بعد تأسيس الأمة الجديدة.

نشأ تقليدان للتعامل مع الدين والسياسة كانا قد نبعا من الخبرة الثورية الأمريكية ومن المسائل المعلقة التى تركها الدستور. من جانب، كان هناك أتباع التقليد الچيفرسونى الذين نظروا إلى الدين بوصفه عاملاً قبليًا مثيرًا للانقسام، وأشاروا إلى كيفية تصاعد التنافسات العرقية والإقليمية من خلال الاختلافات الدينية التى هددت الوحدة الوطنية. لذلك، ينبغى على الحكومة أن تظل بعيدة عن الاهتمامات الدينية المباشرة، وقد اكتسى قبول التعددية داخل هذا التقليد بواجب أخلاقى ذى أهمية خاصة، وحازت هذه السياسات دعم المعمدانيين وكذلك الآخرين من المنادين بحماية الكنائس من الدولة.

ومن جانب آخر، كان هناك أصحاب التقليد الثانى الذى ظهر فى غاية القوة داخل نيوإنجلاند، والذى رأى للمسيحية دورًا أكثر إيجابية داخل الحياة القومية. وقد توجسوا هم أيضًا خيفة من التنوع الطائفى، لكنهم عقدوا العزم على توحيد الأمة تحت مظلة المبادئ الأخلاقية التى فرضها الإله. ولقد آمنوا على غرار أسلافهم البيوريتانز بأن الكتاب المقدس هو مرشد مهم إلى الصلاح القومى. ولم يشددوا بشكل كبير فى قراءتهم لتراث الويج الحقيقيين على رفض الكنيسة الرسمية، مما اكتسب أهمية كأسطورة فى المبدأ الجمهورى الأمريكى. ووفقًا لهذا التقليد، فإن الهرمية الدينية (الهيراركية) ومبدأ السلطة السياسية يسيران يدًا بيد. **بذلك قبع فى إحدى كفتى الميزان: الكاثوليكية، والأنجليكانية، والسلطة الملكية المركزية، والفساد، والطغيان، بينما قبع فى الكفة الأخرى البروتستانتية، والبيوريتانية، والحكومة التمثيلية، والفضيلة، والحرية. بذلك فإن للأسلوب الأمريكى بعدين: أحدهما دينى والآخر أخلاقى، ويتسمان بالقوة.**

ظهرت فى بواكير القرن التاسع عشر نسخة إيڤانجليكية من هذه النظرة داخلها عنصر نيوإنجلاندى قوى مع إرث پيوريتانى. **ولقد مدت الصحوة الدينية العظمى**

فى القرن الثامن عشر جسرًا يصل بين البيوريتانية وبين الثورة الديمقراطية. ولقد زادت الصحوة الدينية العظمى الثانية التى استمرت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وما بعده من رقعة التأثير الثقافى للإحيائية أو البروتستانتية الإيفانجليكية. وقد وفر هذا التراث - وبخاصة فى الشمال - المنطق الدينى للرؤية الثقافية التى أصبحت إحدى المكونات التى استمرت طويلاً داخل القوالب الأساسية للحياة السياسية الأمريكية.

عادة ما كان الذين تبنوا تلك الرؤية من الإنجليز ومن الإيفانجليكيين المتدينين (أو من الموحدين فى بعض الأحيان). ولقد أمد اليانكى من نيوإنجلاند ذوو الثقافة الهجومية هذه المجموعة بالزعامات. وطبقًا لميراثهم البيوريتانى كانوا ينشدون تحول الأفراد، وكذلك انحازوا بقوة تجاه تطبيق مبادئ المسيحية لتحويل المجتمع. سوف يتم إنجاز هذا التحول عن طريق الأفراد المتحولين الذين جنوا فضائل الصناعة والاقتصاد المتعافى والتطهر الشخصى، وكذلك أيضًا عن طريق الجمعيات التطوعية من هؤلاء الأفراد الذين يرتبطون مع بعضهم البعض من أجل أهداف دينية وتعليمية وسياسية.

كان أحد التعبيرات السياسية المبكرة عن هذه الاندفاعة، هو ظاهرة كانت ستبدو خارج هذا السياق كشذوذ تام فى التاريخ السياسى الأمريكى، وهى الحزب المعادى للماسونية. بدا التنظيم السرى للماسونيين فى أعين الإيفانجليكيين بوصفه دينًا زائفًا مشئومًا، وهو الذى اجتذب أصحاب التفكير الحر بشكل خاص. وفى عام ١٨٢٨م كانت أعداد أعداء الماسونية من الضخامة بما يكفى لتوجيه ما يقرب من نصف الأصوات الانتخابية لمدينة نيويورك لصالح «چون كوينسى آدامز». وسرعان ما اندمجوا مع حزب الويج الجديد وأصبحوا القاعدة لجناح «الوعى» ذى الأهمية لذلك الحزب، الذى يضم المؤيدين الأقوياء لإنهاء العبودية مثل «ثاديوس ستيڤنس»، و«ويليام هـ. سيوارد». كان الإيفانجليكى «تشارلز فينى» من المعادين العنيدين للماسونية. (عقب الحرب الأهلية، عندما انتهت قضية العبودية، عاد «فينى» أدراجه لنشاطه الذى لم يكتمل للقضاء على الماسونية، وتحالف مع «چوناثان بلانشارد» عميد كلية ويتون فى إيلينوى).

وفى حين كان حزب الويج فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر يضم عنصراً مؤثراً من نيو إنجلاند، وهو العنصر الذى عزز الجهود الرامية لضبط المجتمع وفقًا للمبادئ الإيڤانجليكية[1]، فقد اتخذ الطريق مساراً جديداً باندثار حزب الويج.

كان العامل الجديد فى المعادلة هو صعود النفوذ السياسى الكاثوليكى. قبل منتصف القرن التاسع عشر كان الإحيائيون الأمريكيون من داخل البروتستانت. وعلى سبيل المثال، لعب الأسكوتلانديون / الأيرلنديون دوراً محورياً فى السياسة الأمريكية خلال نصف القرن الأول من عمر الأمة، وبسبب كراهيتهم لأهل نيو إنجلاند ومشاريعهم الأخلاقية، تحالفوا مع الجنوب، وسيطروا على السياسة فى تلك الفترة المبكرة. وفى خمسينيات القرن التاسع عشر أدى التهديد الكاثوليكى إلى تغيير الصورة. قام الكاثوليك الذين كرهوا هم أيضًا مثاليات اليانكى المتعلقة بوحدانية القيم الأخلاقية المشتركة للبروتستانت، بالرفع من مقدرات الديمقراطيين. كان الأسكوتلانديون والأيرلنديون يزدرون الكاثوليك بما يفوق كراهيتهم لأهل نيوإنجلاند؛ لذلك فقد تخلوا عن الدفة الديمقراطية، وذلك نفس ما فعله بعض المعمدانيين والميثوديين. ومثلما لاحظ المؤرخ «روبرت كيلى»، فبينما كان الجانب البروتستانتى العدوانى ثقافيًا هو الإنجليز، أصبح الآن بريطانيًا معاديًا للكاثوليكية الأيرلندية المكروهة[2].

انبثق العداء الظاهر للكاثوليكية بوصفه قضية سياسية رئيسية فى أوائل خمسينيات القرن التاسع عشر. وفاز فى عام ١٨٥٦م الحزب الأهلى المعادى للكاثوليك بنسبة ٢١٪ من التصويت العام لصالح مرشحه للرئاسة «ميللارد فيلمور»، وبعدها اندمج هذا الحزب مع الحزب الجمهورى صاحب الإقليمية الخالصة والمعادى للرق.

كانت النتيجة أن أصبح للحزب الجمهورى مكون پيوريتانى - إيڤانجليكى قوى، يتوجه إلى تنظيم المجتمع وفقًا للمبادئ المسيحية. وكان القضاء على الرق هو أعظم

(١) كتاب «دانيال والكر هاو» «الثقافة السياسية للويج الأمريكيين» (شيكاجو، مطابع جامعة شيكاجو ١٩٧١) يعرض نقاشًا ممتازًا لهذه الموضوعات.

(٢) «روبرت كيلى» «النمط الثقافى للسياسة الأمريكية» (نيويورك نوبف ١٩٧٩م) ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

إنجازات هذه التوجه؛ لكن محاربة الخمور ومعاداة الكاثوليكية كانتا بالقدر نفسه من العلامات المسجلة لهذا التوجه.

أسس هذا الحزب عقلية: مَنْ داخل الحزب ضد مَنْ خارج الحزب تجاه أمريكا والأمركة. عرقيًا، ساد البريطانيون، اقتصاديًا تحالفًا بشكل وثيق مع طائفة رجال الأعمال. وعزز هذان العاملان من رؤية الذات لديهم. وقد حكمت الأخلاق البيوريتانية - الميثودية المتعلقة بالاعتماد على الذات، والانضباط الأخلاقي، والمسئولية الاجتماعية، الجزء الغالب من التعليم الأمريكي، وحددت النسخة الخاصة بها من «الأمركة».

فى الوقت نفسه، كان الحزب الديمقراطى عقب أربعينيات القرن التاسع عشر قد أصبح بشكل متزايد حزبًا للقادمين من الخارج، وكان عنصرا القوة فيه هما الكاثوليك وأهل الجنوب، وهما المجموعتان اللتان لا تملكان شيئًا مشتركًا على وجه التقريب باستثناء ازدرائهما للمبدأ الجمهورى بتقواه الإيڤانجليكية الذاتية المولعة بفرض نسختها من الأخلاقية المسيحية على عموم الأمة. وفى العادة فإن الإيڤانجليكيين الشماليين مثل الأبرشيين ومشيخيى المدرسة الجديدة، ومعظم الميثوديين، وكذلك معظم المعمدانيين، يعطون أصواتهم للحزب الجمهورى. على الجانب الآخر، فإن الكنيسة العليا، ومقيمى الطقوس الدينية[1]، والپروتستانت الاعترافيين الذين يضمون بعض اللوثريين الألمان -وكلهم ممن لديهم تحفظاتهم حول النسخة البيوريتانية الإيڤانجليكية لمسيحية أمريكا- يعطون أصواتهم فى العادة إلى الحزب الديمقراطى، وكذلك تفعل مجموعة مهمة من البروتستانت الإيڤانجليكيين الذين كانوا جريًا على تقليد «روجر ويليامز» منقسمين بما يكفى للشك فى إمكانية تأسيس نظام سياسى مسيحى[2].

(1)Liturgical: Usually refere to a service of worship which has set forms e.g. the church of English Prayer Book service - A dictionary of Theolgical Terms.

(٢) «هاو» «الثقافة السياسية» ص ١٧، ١٨، ١٥٩، ١٦٧ ويقدم «فيليپ آر، ڤاندرمير» تحليلاً مفصلاً ودقيقًا عن هذه الأنماط فى الفترة المتأخرة فى عمله «السياسى التاجر: الوظائف العامة والثقافة السياسية فى إنديانا: ١٨٩٦ - ١٩٢٠م» (أوربانا: مطابع جامعة إيلينوى ١٩٨٥م) ص ٩٦ - ١٢٠.

رغم أن الحزب الجمهورى كان تحالفًا نفعيًا، ولم يكن ببساطة تجمعًا تطوعيًا إيڤانجليكيًا، فلدى «چيمس. چى بلان» ملاحظة مشهورة خلال حملة انتخاب الرئيس عام ١٨٨٤م، تدل على الرؤية الذاتية للحزب فى بناء إجماع أخلاقى مسيحى پروتستانتى، حين قال: «كان الديمقراطيون هم حزب (شراب الروم، والرومانية [الكاثوليكية]، والعصيان)». يكشف ذلك من جهة عن الأهلية المواطنية البروتستانتية والإرث الإصلاحى الأخلاقى للحزب اللذين يسمحان لسياسى محنك مثل «بلين» بإبداء مثل هذه الملاحظة. ومن جهة أخرى، وحيث كان الظن أن هذه الملاحظة الساخرة قد كلفت «بلين» خسارة الانتخابات، فقد اعتبرت كعلامة على نهاية المرحلة التى بدأت بحملات معاداة الماسونية عندما كانت البروتستانتية الإيڤانجليكية تشكل عنصرًا حزبيًا فى الحياة السياسية الأمريكية. وعلى الرغم من بقاء القضية الإيڤانجليكية الرمزية الخاصة بحظر الخمر تحظى بالأولوية لنصف قرن آخر، فلم يعد فى طاقة أىٍّ من الحزبين أن يستمر طائفيًا بوضوح مثلما كان من قبل. أصبح الحزبان متناظرين للغاية بما يكفى لأن يجنى الجمهوريون ثمار بعض الدعم الكاثوليكى بينما يحظى الديمقراطيون ببعضه من الإيڤانجليكيين. مثَّل هذا الموقف تحولاً كبيرًا عن فترة عمل الدين فيها بشكل كبير ضد الإجماع القومى.

جاءت نقطة التحول الحقيقية المتعلقة بإعادة توجيه السياسة الأمريكية فى عام ١٨٩٦م عندما رشح الديمقراطيون الإيڤانجليكى «ويليام چينينجز برايان» من أجل الرئاسة. وقد ترشح بريان للرئاسة مرتين إضافيتين فى عامى ١٩٠٠، و١٩٠٨م، وعندها كان الحزب الديمقراطى يضم عنصرًا إصلاحيًا «تدخليًا» بما يشابه بشكل كبير الحزب الجمهورى، وكان هذا العنصر يحمل مشاعر قوية تجاه الهدف الإيڤانجليكى الرئيسى المتعلق بحظر الخمر[1]. وقد أنهى الديمقراطيون العصر

(١) «پول كليپنر» «من الذى قام بالتصويت: القوى المحركة للإعداد الانتخابى»، ١٨٧٠ - ١٩٨٠ (نيويورك، پرايجر ١٩٨٢) ص ٧٧ - ٧٨. قارن «كليپنر» «من الصراع العرقى - الدينى إلى التناغم الاجتماعى: تحولات التحالفات والحزبية فى ثمانينيات القرن العشرين» فى «سيمور مارتن ليپست» فى «التحالفات الصاعدة داخل السياسة الأمريكية» (سان فرانسيسكو: معهد الدراسات المعاصرة ١٩٧٨) ص ٤١ - ٥٩.

التقدمى بانتخاب «وودرو ويلسون». كان «ويلسون» المشيخى - وهو من أهل الجنوب - پيوريتانيًا بالقدر نفسه الذى كان لأى شخص من نيو إنجلاند قد حاز المنصب على الإطلاق.

مع ذلك، فالذى حدث للجمهوريين فى الوقت ذاته كان كاشفًا بنفس القدر؛ فقد غض حزب «ماكنيلى» و«مارك هانا» من نبرة صوته الإيڤانجليكية واجتذب بعض التأييد الكاثوليكى. رغم ذلك كانوا لا يزالون حزبًا ذا صبغة پروتستانتية ساحقة يعمل لأهداف استيعابية قوية. فقد مثلوا داخل أمريكا القوى الجاذبة نحو المراكز التى تحاول معادلة الميول الطاردة المركزية التى تخلقها الهجرة. وأصبح نظام التعليم العام الأمريكى مصطبغًا بالقداسة إلى أبعد حد بوصفه أحد وسائل تعليم المهاجرين بالأسلوب الأمريكى وبالفضائل الأمريكية. كان الإنجيل الاجتماعى هو برنامجًا من أجل تنصير أمريكا، ولكن بدون عدوانية الشمولية القديمة للإحيائية من خلال الإنجيل. وبكلمات أخرى، استمر الجمهوريون فى طور بناء إجماع مسيحى، ولكنهم كانوا يكبتون العناصر البروتستانتية الإيڤانجليكية الشمولية؛ لكى يصبحوا قادرين على امتصاص المهاجرين الجدد داخل نطاقهم.

وعلى المستوى التنفيذى، سمحت الليبرالية البروتستانتية، وكذلك الإصلاح الاجتماعى العلمانى بدرجة هامشية، والآتى من العصر التقدمى، للورثة للمرة الثانية بإنجاز ما سبق إنجازه بكل وضوح على يد آبائهم وأمهاتهم من الإيڤانجليكيين فى ستينيات القرن التاسع عشر، فترة سيطرة البروتستانت من أهل الشمال.

ومثلما أوضحها «روبرت كيلى» فإن الأنماط الخاصة بالحزب والتى شُكّلت فى العصر التقدمى من عام ١٨٩٤ إلى عام ١٩٣٠م، قد تزامنت مع سنوات صعود «البروتستانت الأنجلوساكسون البيض - White Anglo Saxon Protestant (WASP)» من أهل الشمال على جميع الأصعدة، بما يشمل الحكومة والأدب والعلم والفنون والاقتصاد»[١].

(١) «كيلى» «النمط الثقافى» ص ٢٨٥.

بذلك فنحن نرى شاهدًا على ما قد أشار إليه «مارتن مارتى» منذ وقت طويل على أنه نمط أمريكى من العلمانية. لم تحدث العلمانية فى أمريكا بواسطة التطور العدوانى فيما بين الدين وبين الثقافة الغالبة، ولكن عن طريق التمازج والاندماج بين أهدافهما. لذلك لم تعد سيطرة پروتستانتية الجمهوريين فى حاجة لأن تكون پروتستانتية معلنة. إنها فقط تمثل مفهومًا معينًا من الحضارة. وكانت كلمة «الحضارة» تعنى فى معظم العقول «الحضارة المسيحية». ويمكن لها أن تحظى بالانتشار عن طريق إصلاح المبادئ الأخلاقية التقدمية التى قد يتشارك فيها الناس من كل تراث. وقد تبنى الكثيرون من الديمقراطيين فى تلك الفترة - ممثلين بـ «برايان وويلسون» - هذه الرؤية البروتستانتية المشوبة بقليل من العلمانية مثلما فعل الجمهوريون بالقدر نفسه. كان الحماس الأمريكى للإرساليات الكثيفة فى تلك الفترة، والذى كان كاسحًا بفعل الكليات القائمة به، قد عكس نزعة تقديم العون إلى العالم، عن طريق نشر الحضارة المسيحية. كما انعكست رؤية مماثلة من خلال منظور «ويلسون» العلمانى الخاص بما بعد الألفية للتبشير الأمريكى من أجل جعل العالم مكانًا آمنًا للديمقراطية. وباختصار، بدأ الدين فى العمل نحو الإجماع.

مع ذلك، وبالرغم من إضفاء الليونة على السيطرة البروتستانتية داخل مثالية وعاء انصهار المواطنة، وبالديمقراطية، وبالقيم التى تدرس للجميع فى المدارس العامة، فلم تؤد إعادة الاصطفاف فى عام ١٨٩٦م إلى التمزيق الشامل للأنماط الأقدم للحزب[١]. وعلى الأقل، فأثناء انتخابات عام ١٩٦٠م كانت القواعد الأقوى للحزب الديمقراطى هى الجنوب الخالص، وكذلك الطوائف الكاثوليكية. وظل الحرس البروتستانتى القديم يميل إلى أن يكون جمهوريًا بلا حدود. مع ذلك، ومع مجىء «الكساد» و«الصفقة الجديدة» سيطرت القضايا الاقتصادية على سياسات الحزب. وباستثناء المرتين اللتين رشح فيهما الديمقراطيون كاثوليكيين للرئاسة عامى ١٩٢٨، و١٩٦٠م، فقد هبط الدين العلنى ليقنع بدور احتفالى.

---

(١) عمل «ڤاندر مير» السابق ذكره يبين أنه على العموم ظلت الأنماط الأقدم قائمة فى إنديانا خلال العصر التقدمى.

وعلى الرغم من أن العديدين من السياسيين فى تلك الفترة كانوا من الكاثوليك، فلم يكن هناك وجود محسوس لسياسيين من الكاثوليك بالمعنى الحقيقى للزعماء المنتخبين الذين يطبقون المبادئ الكاثوليكية على السياسة. بدلاً من ذلك، كان الساسة الكاثوليك «متأمريكين». **وكان الثمن الذى يتوجب دفعه لكونك رجل سياسة أمريكيًا من الكاثوليك هو أن تهجر كاثوليكيتك الحقيقية على باب الكنيسة. وقد لخص «آل سميث» هذا التوجه فى إجابته على سؤال أحد الصحفيين حول آخر منشور بابوى عام قائلاً: «ما هو المنشور البابوى العام بحق الجحيم[1]؟». فقد تعلم الكاثوليك أن يلعبوا لعبة القرن العشرين الخاصة بالانجذاب نحو الميراث الدينى للوطن، ولكن بطريقة احتفالية خالصة. وامتلك «چون إف. كنيدى» براعة خاصة فى استخدام الرموز الخاصة بالدين المدنى الأمريكى[2].**

عقب العصر التقدمى، كان المجال الوحيد الذى لعب فيه الدين دورًا فعليًا فى السياسة الأمريكية، هو فى حركة الحقوق المدنية للسود، والذين كان أسلوبهم السياسى قد تحدد بواسطة النماذج الجمهورية الخاصة بمنتصف القرن التاسع عشر، والذين كان رجال الكنيسة هم الناطقين باسمهم على نمط نيو إنجلاند البيوريتانية، وكان لايزال بوسعهم إثارة الوعى الجمعى للأمة.

كان النمط الأوسع وبخاصة من عام ١٨٩٦ إلى حوالى عام ١٩٦٨م هو مثالية متنامية من الإجماع العلمانى. وعلى الرغم من الأنماط العرقية الدينية المثابرة، ومن بعض السياسات الاقتصادية المختلفة، ومن الدرجات المختلفة من الحرب الباردة، أصبح الحزبان وقتها متشابهين إلى حد كبير. ومع بعض الاستثناءات المهمة، كان من الصعب العثور على أى اختلاف من ناحية المبدأ بينهما. بدلاً من ذلك، تبدت العبقرية الخاصة بالسياسة الأمريكية فى أن الحزبين لم يعنيا الكثير من أى شىء،

---

(١) وردت بين علامتى اقتباس فى عمل «جيمس هينيزى إس. چيه» «الكاثوليك الرومانيون والسياسة الأمريكية، ١٩٠٠ - ١٩٦٠: الظروف المتغيرة، الأنماط المستمرة» فى «مارك إيه. نول» محرر «الدين والسياسة الأمريكية»، ص ٣١٣.

(٢) «روبرت إن. بيلاه» «الدين المدنى فى أمريكا» دايدالوس ٩٦ (شتاء ١٩٦٧م) ص ١ - ٥.

وكان شعار حملة «چورچ والاس» عام ١٩٦٨م عبارة عن أنه لا وجود لأى «اختلاف له قيمة» بين الحزبين. وكان فى وسع أنصار «إيوجين مكارثى» الموافقة على ذلك.

وقد أشار «مارتن مارتى» إلى تعددية «الإيمان الرباعى» التى ظهرت فى الإجماع الأمريكى فى خمسينيات القرن العشرين. مثلما أظهر «ويل هيربرج» فى عام ١٩٥٥م، فعلى الرغم من أن لدى الأمريكيين من البروتستانت والكاثوليك واليهود ديانات رسمية مختلفة، فإنهم يملكون ما يتشاركون فيه بشكل أكبر ألا وهو الدين العملى ذو الإيمان بالأسلوب الأمريكى فى الحياة[١]. وأضاف «مارتى» الإيمان الرابع بالعلمانية بوصفها اختياراً خاصّا، ولا يزال متلائمًا داخل تركيبة الإجماع[٢].

ومن نقطة وقوفنا فى موقع استعادة الأحداث والتأمل فيها، فإن أحد الأشياء المثيرة للانتباه حول هذه الصور الدقيقة للحياة العامة الأمريكية فى فترة الإجماع يكمن فى غياب أى دور للبروتستانتية الإيڤانجليكية المعلنة.

كان الذى حدث هو أن بروتستانت الخط الرئيسى قد امتزجوا واندمجوا فى إجماع علمانى، فى حين أجْبرَ الأصوليون والبروتستانت المحافظون أو «الإيڤانجليكيون» القح على الخروج منه. وعلى الرغم من حصولهم فى عشرينيات القرن العشرين على بعض السيطرة القومية فى الحملات المضادة للنشوء والارتقاء، وفى معارضتهم «لآل سميث»، فسرعان ما أصابهم الوهن بوصفهم قوة سياسية

(١) «ويل هيربرج» «البروتستانت - الكاثوليك - اليهود» (جاردن سيتى، نيويورك: دوبلداى ١٩٥٥م).

(٢) كان «مارتى» فى عمله «الشكل الجديد للدين الأمريكى» - (نيويورك: هارپر آندرو ١٩٥٨) ص ٧٦ - ٨٠ يتحدث بالفعل عن الإيمان الأمريكى الرابع بوصفه «الإنسانية العلمانية» (كان يتبع «چون كورتنى مورای» فى الاستخدام للتعبير). وقد لاحظ أيضًا أن لهذا الإيمان كنيسته الرسمية، فى ميدان التعليم العام. ومن المفترض أن مناقشات «موارى» و«مارتى»، ومثيلاتها أتت عقب إشارة القاضى «هيوجو بلاك» الشهيرة إلى المبدأ «الإنسانى العلمانى» بوصفه دينًا فى قرار المحكمة العليا عام ١٩٦١م. هذه الجذور العميقة لهذا التعبير تضاد الادعاءات التى ساقها «شين ويلنتز» فى «الله والإنسان فى لينشبرج» الجمهورية الجديدة ٢٥ أبريل ١٩٨٨م ص ٣٦ عن «ابتكار الأصوليين (للمبدأ الإنسانى العلمانى) بوصفه دينًا جماهيريًا».

جادة. وحتى فى خلال السنوات الأربعين التالية من عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٦٨م، كان هناك على الدوام إيڤانجليكيون من الجناح اليمينى يحاولون تنظيم الدعم حول قضايا سياسية، إلا أن معظم الإيڤانجليكيين ظلوا على تخوم السياسة الأمريكية. وهم إما سقطوا داخل دوامة عدم النشاط السياسى، أو امتزجوا واندمجوا مع الجمهوريين المحافظين فى الشمال أو بوصفهم ديمقراطيين بالمولد فى الجنوب. ولكن فى داخل هذا الانفصال فمن المهم أن نذكر أن الإيڤانجليكيين كانوا قد بدأوا فى تنمية انشقاق سوف يؤدى فى يوم ما إلى تهديد الإجماع. لقد انشقوا أولاً عن الجميع بمعاداتهم علم اللاهوت الليبرالى الذى جعل من الإجماع متاحًا، وأيضًا ضد بعض من السياسات الاجتماعية التقدمية التى نمت من الإنجيل الاجتماعى.

لذلك فلم يكن فى وسع أى امرئ أن يتنبأ بذلك فى عام ١٩٦٨م، حيث سرعان ما صعدت هذه المجموعة بوصفها قوة سياسية معتبرة. وانهار بحلول عام ١٩٦٨م الإجماع على الصفقة الجديدة الليبرالية. لقد أطاحت حرب ڤيتنام، وأعمال الشغب من قبل السود، والثقافة المضادة بوهم إجماع المواطنة الصالحة: الليبرالى- البروتستانتى- الكاثوليكى- اليهودى- العلمانى، وفى حين حاول التقدميون بناء إجماع علمانى أكثر تغلغلاً وأكثر شمولية وتعددية، فقد عارضه المحافظون بكل حدة. واستثمروا فى البداية التراجع العلمانى الكبير، الذى برهنت عليه شعبية نائب الرئيس «سپيرو أجنيو» فى الحصول على «الأغلبية الصامتة»، تم تعبئتهم حول العداوة للشيوعية وحول مبدأ الأمركة تحت شعار «إما أن تحبها أو تتركها». بعدها، وفى أعقاب حرب ڤيتنام ورئاسة «ريتشارد نيكسون» بدأ المزيد من التحالفات الدينية فى الالتحام حول القضايا الأخلاقية مثل معارضة الإجهاض، ومعارضة مشاهد العرى، ومعارضة ERA[1]، وحول القضايا الدينية الرمزية مثل أداء الصلوات فى المدارس.

وأصبح واضحًا بعد عام ١٩٧٦م أن فى الإمكان تعبئة عدد معتبر من المؤيدين من الإيڤانجليكيين والأصوليين والكارزميين الخمسينيين حول هذه القضايا. تبنى جزء

(١) «تعديل الدستور ليساوى فى الحقوق بين الرجل والمرأة- Equal Rights Amendment»، والمقصود معارضة المساواة فى الحقوق والأجور بين الرجل والمرأة.

فقط من الإيڤانجليكيين المحافظين هذا الموقف لليمين السياسى. كانت الحركة الإيڤانجليكية ذاتها تحالفًا منقسمًا لم يكن فى مقدوره فى أحسن الأحوال إلا الحفاظ على وحدة لاهوتية ضعيفة مضادة لليبرالية، بين ما لا يحصى من المجموعات الفرعية والطوائف. وعلى الرغم من إمكانية تنظيم فرقة متماسكة من الإيڤانجليكيين مثلما حدث مع الأغلبية الأخلاقية، أو مع حملة «پات روبرتسون»، فقد كانت الإيڤانجليكية بعيدة عن التوحيد بوصفها قوة سياسية.

كان الذى ساعد عليه هؤلاء الذين «عبأوا» فى غاية من الأهمية بالنسبة لأنماط الحياة السياسية الأمريكية. لقد قدموا العون لجذب أحد أجنحة الحزب الجمهورى عائدًا إلى إرثه الخاص بالقرن التاسع عشر. رغم ذلك، كان العنصر المثير الذى غاب هو معاداة الكاثوليكية. لقد حدد الإيڤانجليكيون والكاثوليك المحافظون (وكذلك المورمون وأعضاء كنيسة التوحيد أيضًا) الآن هدفًا مشتركًا بمعاداة الشيوعية، وتجاه قضايا الأسرة. ولقد أظهرت هذه التحالفات ـ على الرغم من الموقف الإيڤانجليكى المعلن بشأن الزعامة لليمين المسيحى ـ عن أنها أيضًا قد شكلت إجماعًا سياسيًا انخفضت بداخله نبرة الشمولية الإيڤانجليكية. وفى الوقت نفسه، اجتذب اليمين الدينى الجديد إيڤانجليكية الأنجلو پروتستانت الطبيعية فى الجنوب، التى تبنت المثالية الأمريكية المسيحية المتجددة بمشاعر خاصة فى غاية التوهج. وبذلك وبغير عنصرية مكشوفة، فقد هجر التحالف الجديد إرثه القادم من القرن التاسع عشر والخاص بالانحياز لقضية السود.

وبنفس القدر من الحقيقة التى كانت للجمهوريين الإيڤانجليكيين فى القرن التاسع عشر فى الفترة الزمنية الخاصة بـ «أوليسس إس. جرانت»، فإن ما حازه المحافظون بالفعل داخل البيت الأبيض مع انتصار «رونالد ريجان» ظل بعيدًا للغاية عن أمريكا المسيحية الخاصة بهم. وعلى الدوام، أدى الخليط المكون من الطموح العارم فى الأخلاقيات الرفيعة المتعلقة بالحضارة المسيحية مع رغبة الملكية الفردية النفعية المتعلقة باهتمامات الأعمال إلى الوصول للحلول الوسط. لقد برهنت المرحلة التى ساعدوا على الدخول إليها على أنها تمثل المرحلة المطلية بالذهب الثانية.

على الرغم من هذه الانحرافات، والتى أوضحت أن جناح الضمير للمبدأ الجمهورى لم يأخذ السيطرة بالفعل، فقد أعيد إحياء مكون مهم للإرث السياسى الأمريكى. إن المعاداة للماسونية وكذلك الحرب الحديثة على الإنسانية العلمانية المميزين للقرن التاسع عشر، هما متلازمان بشكل عضوى، حتى عند انتقال مركز الثقل ناحية الجنوب. وفى وجه التعددية المتنامية وكذلك الأخلاقية الشمولية اللتين أصبحتا بشكل متزايد العلامة المميزة الدالة على الحزب الديمقراطى، استعاد جناح مهم من الجمهوريين المثاليات الخاصة ببناء تحالف حول الإرث المسيحى العريض المحارب والمناهض للعلمنة وللشيوعية. ومع اقتراب نهاية القرن العشرين فقد اختلفت بحدة هذه الرؤية الخاصة بجوهر ما الذى يعنيه أن تكون أمريكيّا، مع رؤية ذات شمولية أخلاقية أكبر.

وقد أشار «روبرت وثناو» إلى أن المحافظين سياسيّا ليسوا هم الوحيدين الذين لديهم رؤية دينية - أخلاقية للأمة. بدلاً من ذلك فقد لاحظ أن لدى أمريكا دينين مدنيين:

«توافر الرؤية المحافظة قداسة إلهية لأمريكا، يعطى الشرعية لشكل الحكومة والاقتصاد، ويفسر مكانها المميز داخل العالم، ويبرر المستوى الأمريكى المتفرد من الرفاهية والأخلاقية. وتثير الرؤية الليبرالية الأسئلة حول أسلوب الحياة الأمريكى، وتدقق النظر بشأن خططها السياسية والاقتصادية على ضوء الاهتمامات السامية [الإلهية]، كما تدعو الأمريكيين إلى العمل باسم مجموع البشرية بدلاً من العمل من أجل مصالحهم الذاتية وحدها»[1].

ومثلما ساد الانقسام بين الأمريكيين عمومًا بخصوص هاتين الرؤيتين الأخلاقيتين، كذلك انقسم الإيڤانجليكيون. لقد تبنت أعداد غير متناسبة من الإيڤانجليكيين البيض الرؤية الشاملة المحافظة، ولكن الرؤية ذات الانتقادية الأكبر

(١) «روبرت وثناو» «نحن نسقط منقسمين: الدينان المدنيان لأمريكا» مجلة «القرن المسيحى» ٢٠ أبريل ١٩٨٨م ص ٣٩٨. يضم عمل «وثناو» المسمى «إعادة بناء الدين الأمريكى» (مطابع جامعة پرنستون ١٩٨٨م) مناقشة لا نظير لها حول إعادة الاصطفاف السياسى والدينى.

للأمة، وللمصلحة الذاتية تشكل جزءاً محترمًا معادلاً من الميراث الذى يعود فى الماضى إلى «روجر ويليامز». وهناك الرؤية التى تتمتع بنفس القوة وتعود جذورها إلى الفترة الثورية، والتى تعترف بأن أمريكا تنقسم قبليًا إلى مجموعات دينية ـ عرقية لذلك إبقاء الدين الصريح خارج السياسة هو مبدأ أخلاقى عال. كان «چيمى كارتر» وهو الذى يتمسك بما يقارب هذه الرؤية، وهو الإيڤانجليكى الملتزم الوحيد الذى فاز بالرئاسة[1]، ويمثل ذلك حقيقة بسيطة ينبغى وضعها فى الحسبان عند النظر إلى السبب وراء أن معظم الإيڤانجليكيين لم يعطوا أصواتهم إلى «پات روبرتسون». إن «روبرتسون»، و«چيرى فالويل» والزعماء الآخرين لليمين المسيحى، يمثلون بالفعل الإحياء لإرث سياسى أمريكى، وهو إرث واحد له تراث طويل من محاولة فرض معايير أخلاقية إيڤانجليكية على الأمة؛ لكنه يمثل حتى بالنسبة للإيڤانجليكيين ميراثًا واحدًا من مجموع المواريث الدينية الأمريكية.

***

(١) كتبت هذه الدراسة قبل انتخاب الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان دورتين فى فترة الثمانينيات ـ المترجم.

obeikandl.com